للنبيّ من علوم الأسرار، فإن ذلك ليس من خصائص النبوّة، ولا حجر الشارع على أمّته هذا الباب، ولا تكلم فيه بشيء، بل قال: إن يكن في أمّتي محدّثون فعمر منهم، فقد أثبت النبيّ ﷺ أن ثَم من يحدّث ممن ليس بنبي وقد يحدث بمثل هذا فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام، فإن ذلك أعني التشريع من خصائص النبوّة وليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهية من خصائص نبوّة التشريع بل هي سارية في عباد الله من رسول وولي وتابع ومتبوع، يا وليّ فأين الإنصاف منك؟ أليس هذا موجوداً في الفقهاء وأصحاب الأفكار الذين هم فراعنة الأولياء ودجاجلة عباد الله الصالحين، والله يقول لمن عمل منّا بما شرع الله له: إن الله يعلمه ويتولى تعليمه بعلوم أنتجتها أعماله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٢] وقال: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال: الآية ٢٩].

ومن أقطاب هذا المقام عمر بن الخطاب وأحمد بن حنبل ولهذا قال ﷺ في عمر بن الخطاب يذكر ما أعطاه الله من القوّة «يَا عُمَرُ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ فِي فَجٍّ إِلاَّ سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ» فدلّ على عصمته بشهادة المعصوم، وقد علمنا أن الشيطان ما يسلك قط بنا إلاّ إلى الباطل وهو غير فجّ عمر بن الخطاب فما كان عمر يسلك إلاّ فجاج الحق بالنص، فكان ممّن لا تأخذه في الله لومة لائم في جميع مسالكه وللحق صولة، ولما كان الحق صعب المرام قوياً حمله على النفوس لا تحمله ولا تقبله بل تمجّه وتردّه لهذا قال ﷺ: «مَا تَرَكَ الْحَقُّ لِعُمَرَ مِنْ صَدِيقٍ» وصدق ﷺ يعني في الظاهر والباطن، أمّا في الظاهر: فلعدم الإنصاف وحب الرياسة وخروج الإنسان عن عبوديته واشتغاله بما لا يعنيه وعدم تفرغه لما دعي إليه من شغله بنفسه وعيبه عن عيوب الناس. وأمّا في الباطن: فما ترك الحق لعمر في قلبه من صديق فما كان له تعلّق إلاّ بالله.

ثم الطامة الكبرى أنك إذا قلت لواحد من هذه الطائفة المنكرة اشتغل بنفسك يقول لك: إنما أقوم حماية لدين الله وغيرة له والغيرة لله من الإيمان وأمثال هذا، ولا يسكن ولا ينظر هل ذلك من قبيل الإمكان أم لا؟ أعني أن يكون الله قد عرّف ولياً من أوليائه بما يجريه في خلقه كالخضر ويعلمه علوماً من لدنه تكون العبارة عنها بهذه الصيغ التي ينطق بها الرسول ﷺ كما قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِيۚ﴾ [سورة الكهف: الآية ٨٢] وآمن هذا المنكر بها على زعمه إذ جاء بها رسول الله ﷺ فوالله لو كان مؤمناً بها ما أنكرها على هذا الوليّ لأن الشارع ما أنكر إطلاقها في جناب الحق من استواء ونزول ومعية وضحك وفرح وتبشبش وتعجّب وأمثال ذلك، وما ورد عنه ﷺ قط أنه حجرها على أحد من عباد الله بل أخبر عن الله أنه يقول لنا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١]، ففتح لنا وندبنا إلى التأسّي به ﷺ وقال: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٣١] وهذا من اتباعه والتأسّي به. فمن التأسّي به إذا ورد علينا من الحق سبحانه وارد حق فعلمنا من لدنه علماً فيه رحمة حبانا الله بها وعناية حيث كنا في ذلك على بينة من ربنا ويتلوها شاهد منّا وهو اتباعنا سنته، وما شرع لنا لم نخلّ بشيء منها ولا ارتكبنا مخالفة بتحليل ما حرّم الله أو تحريم ما

almawaddah.be